القاضي السعيد

للفيلسوف الروسي تولستوي

بقلم الأديب السيد صلاح الدين المنجد

قام المليك ثملاً من الرقص الفاتن على أنغام المزامير يرنو إلى جمال الراقصات الباسم ... ويصغي إلى أحاديث الندامى ترن في مسامعه مرجمة أنباء الساحر الرهيب، ذي القوة الخارقة والسحر العجيب، وأقاصيص ذلك القاضي السعيد الفياضة بالغرائب، المملوءة بالأعاجيب ... !

وأيقظه نسيم السحر المرتعش، فنادى غلامه وقال: سمعت في العشية من صحبك أن في أقصى المملكة قاضياً واسع الحيلة، عظيم الذكاء، يعرف الكاذب إذا رآه من الصادق، وله في ذلك نكات حلوة وطرائف طلية ... ولقد هفت نفسي إلى رؤيته فهيئ لي يا غلام جوادي، وأحضر لي زادي، وائت لي بلباس لا يعرفني به أحد من رعيتي، كي أذهب فأرى صدقه من تدجيله

وبعد ساعة ... انطلق الملك يسري ... بين شعف الجبال وأحضانها، وهو يحث السير ويغذه؛ حتى إذا ما وصل إلى بلد القاضي — وقد ارتفعت الشمس وقاظ النهار — لقيه رجل قد قطعت ساقاه وتهشم وجهه وجحظت عيناه، فاقترب منه، وهو يتكئ على عصوين أسندهما إلى إبطيه ... وأخذ يقبل أقدامه ويطلب إحسانه. فتصدق الملك عليه، وهمز حصانه وسار على مهله

وفرح البائس إذ ضحكت له المنى ولكنه لحق بالمليك وأمسك بأثوابه لايدعها، فغضب الملك وثار وقال له:

— ما شأنك أيها الرجل، وماذا تريد؟ طلبت فأعطيناك ... وشكوت فرحمناك ... !

قال الرجل بصوت يشيع فيه الحزن واللوعة:

— أوصلني يا سيدي إلى ساحة المدينة. فأنا بائس عاجز وأخاف أن تطأني الجمال بأقدامها إذ تمشي مشيها الوئيد ... أوصلني إليها يا سيدي والله يجزيك أحسن الجزاء

ورق قلب الملك له وأشفق عليه. فحمله بين يديه وأردفه. ثم انطلقا حتى أتيا ساحة المدينة الكبرى. قال الملك آنذاك:

— ها هي ذي ساحة المدينة أيها الرجل، فاهبط آمناً. !

قال الرجل:

— وي. هذا جزائي فلم تريد اغتصابه مني؟ أهذا جزاء من يعطف عليك ويشفق؟ ياللوقاحة! ويل لك من العذاب الذي سيصيبك! هيا. هيا. دع الحصان وامض إلى سبيلك. وإن لم تفعل، فخير لك ولي أن نذهب إلى القاضي السعيد فنسأله، وهناك يظهر الحق ويزهق الباطل. !

وشده الملك. وعجب من هذا المحتال البائس. ثم ثار وغضب، وأرغى وأزبد، والتف حوله أهل

المدينة ، فساقوهما إلى القاضي ليحكم بينهما

وأتيا القاضي يجرّان وراءهما الناس ، وقد جاؤوا ليستمعوا إلى حكمه. واستوى القاضي على كرسي مزين بالذهب المتوهج ، وبدأ ينادي المتخاصمين فرداً فرداً

وجيء بعالم أصلع الرأس ، كث اللحية ، حمارى الأذنين[1] وإلى جانبه قروى رث الهيئة ، ممزق الأثواب ، على وجهه أمارات الغباوة ، كانا يختصمان على امرأة حسناء على وجهها سحر وطلاوة ... هذا يدعي أنها خليلته ، وذاك يقول إنها حليلته..!

واستغرق القاضي في صمت عميق... ثم قال :

— دعا حسناء كما عندي وتعاليا إليّ غداً . !

وتقدم جزار إلى جانب زيات . وكان الجزار يرتدي ثوباً مليئاً دماً ، وكان الزيات يرتدي لباساً زين ببقع الزيت الحية . قال الجزار :

— لقد اشتريت من هذا الرجل يامولاي زيتاً ثم عمدت إلى قميصي فأخبأته تحت جيبه[2] . ولكنه هجم عليّ ، وانتزعه مني . فجئنا إليك يامولاي ... أنا أمسك بيدي دراهمي وهو يمسك بتلابيبي لئلا أفر ... ولكن الدراهم لي ... وما هو إلا سارق أثيم ..!

قال الزيات :

— كذب ما قاله ياسيدي وبهتان ... لقد جاء إليّ ليبتاع من زيتي ، فملأت له وعاءه ، فلما أراد الانصراف طلب مني أن أبدل له قطعة ذهبية بقطع فضية ، فرحت أعطيه الدراهم ... ولكنه فرّ بها يا مولاي ، فلحقت به .. وأحضرته إليك .. !

واستغرق القاضي في صمت عميق. ثم قال :

— دعا الدراهم عندي وتعاليا إليّ غداً ..!

ونودي الملك والسائل . قال الملك :

— أنا تاجر ياسيدي ، وهذا سائل لقيني وأنا في طرف المدينة فرثيت له وأشفقت عليه ، ثم أعطيته ما يخفف من ألمه ويزيد في فرحه .. فلما انطلقت إلى ما أنا ماض من أجله ، لحق بي وطلب أن أوصله الساحة الكبرى . فأردفته . فلما كنا في الساحة الكبرى ، طلبت إليه أن يتركني فأبى ، وقال هذا حصاني جئت تنتزعه مني . فالتف حولنا الناس وساقونا إليك . هذه قصتي يامولاي فاحكم بما تريد ! ...

قال السائل :

— يا للكذب يا مولاي . لئن كذب وافتري ، فما أنا إلا صادق أمين . . . كنت أجتاز المدينة ومعي الحصان فرأيته في بعض الطريق . . . فطلب مني أن أوصله الساحة الكبرى فقد أنهكه السير الطويل . فلما أتيت به الساحة قال هذا حصاني ... فاحكم يا مولاي أيدك الله وأطال بقاءك !

وفكر القاضي وقدّر ... ثم قال :

— سأعرف الكاذب من الصادق ... دعا

---

(١) حمارى الأذنين أي أن أذنيه كأذني الحمار . ويقال أيضا فيلي الأذنين . ذكر المعري في رسالة غفرانه ص ٤٧ ما يلي : « كان ببغداد رجل كبير الرأس فيلي الأذنين ، اسمه فاذوه ... الخ » وقد قسنا الأولى على الثانية

(٢) جيب القميص طوقه . أي صدره . وهذا المعنى هو خلاف ما هو شائع عن معني هذه الكلمة

الحصان لدىّ ، وارجعا إلىّ غداً ...

وتفرّق الناس ، ومضى كل إلى سبيله ، وذهب الملك يفكر فى هذا القاضى الذى سمّاه الناس « بالسعيد »

* * *

أقبل الليل ، فجلس الملك يفكر فى أمر ذلك البائس المسكين ويتذكره ، فملأ صوته المضطرب سمعه وفؤاده، وهو يتساءل عن جزائه وكيف يكون. فلما أضناه التفكير أسلم نفسه للكرى . فنام نوماً عميقاً ، رأى فيه من الأطياف ما لا يحصر ، ومن الأشباح المرعبة ما لا يحد . وضحك النهار فاستيقظ الملك ... وأخذ يرتدى أثوابه . ثم مضى إلى المدينة ليطوف في أسواقها ... فلما أجاز ساحة الحى وجد غريمه يتدحرج نحو دار القاضى

وكان الناس يأتون زرافات زرافات ، فقد أعجبوا بالقاضى فغدت نفوسهم فى شوق ملح لكل ما يقول . وجاء المتخاصمون فتقدم العالم والقروى. فنظر القاضى إليهما وقال :

— أيها العالم ! إنها زوجتك فخذها وامض بها إلى دارك . . . أما أنت أيها القروي ، فجزاؤك خمسون جلدة تنالها فى الساحة الكبرى على ملأ من الناس ! ..

وانصرف العالم وزوجته ، وأخذ القروى ليجلد

وجئ بالجزار وبائع الزيت ، فقال القاضى :

— أيها الجزار ! ها هي ذى دراهمك فخذها . أما أنت . . . فجزاؤك خمسون جلدة تنالها فى وضح النهار على ملأ من الناس ! ...

وأخذ الجزار دراهمه . ومضوا بالزيات ليجلدوه

وتقدم الملك والسائل . فقال القاضى للملك المتنكر :

— هل تعرف حصانك جيداً ؟

— نعم يا مولاى !

— وأنت أيها السائل ؟

— وأنا أيضاً يا سيدى !

— اتبعانى إذن ...

وانطلق القاضى بهما إلى الاصطبل وقد امتلأ بالجياد . فقال للملك : دلنى على حصانك ... فدله الملك . ثم أخرجه وأدخل السائل ... فدله عليه أيضاً . فلما خرج القاضى قال : خذ حصانك أيها التاجر فهو لك . أما أنت فستجلد خمسين جلدة فى الساحة الكبرى

وهم القاضى بالانصراف ... فتبعه الملك وقال له:

— أريد يامولاى أن أعلم كيف استطعت أن تعرف أن المرأة كانت للعالم ، وأن الدراهم كانت للجزار ... وأن الحصان كان لى ... فلقد حار عقلى فى فهم ذلك ...!

قال القاضى :

— أما المرأة ، فقد أتيت بها إلى دارى ، وقلت لها ضعى فى هذه المحبرة مداداً . فأخذت الدواة فنظفتها ، ثم ملأتها مداداً . فعلمت أنها تعلم ذلك من قبل ، والدواة لا توجد إلا عند العالم . فحكمت بأنها امرأة العالم وليست خليلة القروي . أما الدراهم فقد وضعتها فى إناء ملىء ماء ، وقلت لنفسى ، إن كانت لبائع الزيت ، فلا بد أن تطفو على صفحة الماء

قطرات من الزيت جاءت إليها من يديه . ولكن الماء بقى صافياً ، فعلمت أن الدراهم ليست لبائع الزيت وإنما هى للجزار .

وصمت القاضى قليلا .. فلما طال صمته قال الملك:

— والحصان ياسيدى ؟

قال القاضى :

لقد قلبت الأمر بين يدى . فلم أجد حيلة أنفع من أن تدلانى على الحصان ، فمرفته أنت كما عرفه السائل . . . ولكنى رأيت الحصان قد أدار وجهه نحوك . ورفع أذنيه عند ما دنوت منه . فلما جاء السائل أرخى أذنيه ورفع إحدى رجليه يريد رفسه، فعلمت أن الحصان لك

وابتسم الملك ضاحكا ... ثم تقدم من القاضى فقال له :

— أيها القاضى ! نعم العدل بك عيناً . . . لست بتاجر ، ولكننى الملك .. !

ودهش القاضى ... وارتجف رهبة . ثم انحنى وقال :

— عفواً يامولاى ... أنا عبدك

— قم أيها القاضى وسل ... !

— إن ثناءك على لمكافأة لى يامولاى . . .

وانحنى ليقبل قدميه .

— قم . . . قم أيها القاضى السعيد . . . فلقد صدقت بك ... وآمنت ... لقد صدقت وآمنت ... ومنذ الغد ستكون لى وزيراً .. !

صدوح السيد المنجد

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الكاتب

ابى العلاء المعرى

طرفة من روائع الأدب العربى فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبى العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة

ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة

رفائيـــــل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً